



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر
عليه
ص

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

الإعجاز القرآني

وأثره على مقاصد التنزيل الحكيم

د. رجاء بنت محمد عودة



مكتبة أم الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل

كاتب:

رجاء بنت محمد عودة

نشرت في الطباعة:

مكتبة العبيكان

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	الإعجاز القرآنى و أثره على مقاصد التنزيل
٨	اشارة
٨	ملخص البحث
٨	تمهيد
٩	١- الإعجاز فى السياق القرآنى
٩	اشارة
١٠	أ- خصائص لغوية:
١٠	اشارة
١١	١- اختلاف الدلالة باختلاف بنية الكلمة:
١٢	٢- البعد الدلالى للمشترك اللفظى:
١٢	٣- ألفاظ جديدة أحدثها نزول القرآن:
١٣	ب- خصائص صرفية:
١٣	ج- خصائص بلاغية:
١٣	اشارة
١٣	التوظيف الدلالى للذكر و الحذف:
١٤	٢- الإعجاز فى الآية الواحدة
١٤	اشارة
١٤	أ- خصائص لغوية:
١٥	ب- خصائص صرفية:
١٥	اشارة
١٥	١- البعد الرمزى لصيغ الاشتقاق:
١٥	٢- التجسيد المعنوى لصيغ المبالغة و التفضيل:

- ج- خصائص بلاغية: ١٦
- اشارة ١٦
- ١- التوظيف الدلالى للإنشاء الطلبى: ١٦
- ٢- ثنائىة الأداء الوظيفى للاستفهام الإنكارى: ١٦
- ٣- البعد الوظيفى للتذليل: ١٨
- ٤- دور الإسناد الخبرى: ١٨
- ٥- الدقة الأدائىة للتصوير القرآنى: ١٩
- ٣- الإعجاز فى المفردة القرآنىة ٢٠
- اشارة ٢٠
- آ- خصائص لغوىة: ٢٠
- اشارة ٢٠
- ١- مراعاة الألفاظ لمقام السياق: ٢٠
- ٢- الكثافة الدلائىة للمفردة القرآنىة: ٢١
- ب- خصائص صرفىة: ٢١
- اشارة ٢١
- ١- البعد الدلالى لصيغ المبالغة: ٢١
- ٢- الوظيفة الدلائىة للإسناد الجمعى: ٢٢
- ج- خصائص بلاغىة: ٢٢
- اشارة ٢٢
- ١- التصعيد الدلالى لصيغة التنكير: ٢٢
- ٢- البعد الرمزى للتقديم و التأخير: ٢٢
- ٣- الوظيفة الدلائىة للفاصلة القرآنىة: ٢٣
- ٤- الإعجاز فى الاستخدام الحرفى ٢٤
- اشارة ٢٤

- أ- خصائص لغوية: ٢٤
- اشارة ٢٤
- ١- الخصوصية الدالية للحرف القرآنى: ٢٤
- ٢- دقة الاستخدام العددي: ٢٤
- ٣- غلبة المعنى الحرفى على السياق النصى: ٢٥
- ب- خصائص صرفية: ٢٦
- اشارة ٢٦
- ١- التصعيد المعنوى للاستخدام الحرفى: ٢٦
- ٢- التضعيف الحرفى: ٢٧
- ج- خصائص بلاغية: ٢٨
- اشارة ٢٨
- ١- التوظيف المجازى لحرف النداء: ٢٨
- ٢- البعد الدالى للتقديم الحرفى: ٢٨
- الخاتمة ٢٩
- المعاجم و دوائر المعارف ٣٠
- المحتوى ٣١
- تعريف المركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية ٣١

الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل

إشارة

نام كتاب: الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل نويسنده: رجاء بنت محمد عودة موضوع: اعجاز تاريخ وفات مؤلف: معاصر
زبان: عربي تعداد جلد: ١ ناشر: مكتبة العبيكان مكان چاپ: الرياض سال چاپ: ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ نوبت چاپ: أول

ملخص البحث

ملخص البحث تتناول هذا الدراسة خصوصية النظم القرآني، و أثره على بيان و تعميق مقاصد التنزيل الحكيم، حيث ترتقى المدارك إلى آفاق البيان المعجز، بفقته أدوات الصياغة: اللغوية، و الصرفية، و البلاغية. فتتجلى آماذ لا حدود لها من جلال الإعجاز، و عمق المعاني، و بعد الإيحاءات، و سمو الغايات. و قد نوهت الدراسة بأن هذا الفهم العميق لكتاب الله يقتضى فهم الوظيفة الدلالية لكل جزئية تعبيرية في الكتاب الكريم، حتى على صعيد الاستخدام الحرفي، الذي ينهض بوظيفة معرفية مميزة لا يؤديها أى حرف آخر قد يقوم مقامه، حيث يختلف المعنى باختلاف الاستخدام. و هذا ما يدعم الارتباط الوثيق بين المقام و المقال، أو بين النظم و مقاصد التشريع؛ مما يجعلهما نسيجا تعبيريا واحدا؛ يتجلى على صعيد: عموم السياق، و على مستوى الآية الواحدة، و على نطاق المفردة القرآنية، و من خلال الاستخدام الحرفي. و قد عرضت الدراسة لهذه الجوانب الأربعة، معتمدة على الشواهد القرآنية الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨ و المعايير اللغوية، مؤكدة الارتباط بين إعجاز النظم، و إعجاز التشريع - إن جاز هذا التعبير. و ارتكزت هذا الدراسة أساسا لبيان مقاصد التشريع من خلال إعجاز النظم، مفصحة عن مفاهيم عقديّة، و ضوابط اجتماعية، و قيم سلوكية، و معايير لغوية، متألّفة كلها في وحدة واحدة من التعبير، واضعة المنهج الأمثل للحياة الإنسانية، لتتنظم حركة الحياة بمنهج السماء. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١١

تمهيد

تمهيد القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، و معجزتها البيانية الخالدة، جعله الله آخر رسالاته لهداية البشرية، و تحقيق مصالحها الدينية و الدنيوية. قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ (المائدة الآية: ٤٨) فالقرآن هو الدستور الدائم لإصلاح الخلق، و قانون السماء لهداية الأرض، و حجة الرسول صلوات الله و سلامه عليه، و معجزته الكبرى، و ملاذ الدين الأعلى، يستند إليه في العقائد، و العبادات، و المعاملات. و من هنا تضافرت جهود العلماء في العناية به، و الاستفادة منه، و اتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، تجلت في جمعه و تدوينه، و ترتيبه، و إعرابه، و تنوع أدائه، و وصف قراءاته و قرائه، و بيان محكمه و متشابهة، و بيان ناسخه و منسوخه، و فواتيح سوره و خواتيمها، و أسباب نزوله، إلى آخر ما هنالك من موضوعات تنضوى في ثنايا هذه الموسوعة القرآنية. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٢ بيد أن أعلى هذه المباحث قدرا، و أعظمها شأنا بيان خصائصه التي كانت و حيا معجزا، أتاحت لأرباب البيان استنباط علم البلاغة مأخوذ من بسحر بيانه، و روعة إعجازه لما احتواه من ذروة الأداء الفني الذي لم يعهدوا نظيره في الشعر العربي. يقول محمود شاكر عن مكانة الشعر عند العرب: «هذا الشعر الذي كان حين أنزل الله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم نورا يضيء ظلمات الجهلية، و يعكف أهله لبيانه عكوف الوثني للصنم، و يسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثله لأوثانهم قط، فقد كانوا عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان! و قد سمعنا بمن استخف منهم بأوثانهم، و لم نسمع قط بأحد استخف ببيانهم» (١). و لهذا ألفت في إعجاز القرآن كتب مستقلة تجلت في المصنفات

الكلامية و البلاغية و النقدية، التي كونت في مجملها منظومة معرفية ما زالت إلى الآن موضع المهتمين بالكشف عن أسرار الإعجاز القرآني: اللغوى و العلمى (_____). (١) انظر:

مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمه عبد الصبور شاهين، ط ٤، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧ م)، ص ٤٨. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٣ و هو إلى جانب ذلك «مائدة يتغذى منها العقل و الروح، فتتخلق منها ملكات علوية، و وجدانات ربانية، بها يسمو الإنسان و يعلو، و بها يرتفع على هذا الضعف الإنسانى الكامن فيه و ينتصر على هذه النزعات المندسة في كيانه «١». و إذا كان القرآن يمثل الأنموذج الذى عجزت منه أمه البيان عن معارضته فإن محصله ذلك تبرز مكانه القرآن اللغوي، و أنه المعجزة الباقية بقاء الرسالة المحمدية، لتبقى الرسالة محروسة بالمعجزة. و هذه الدراسة تمثل غرسة صغيرة في هذا الحقل المتسع الأرجاء، بغية فهم الجانب اللغوى، و الصرفى، و البلاغى، و أثر ذلك على مقاصد التنزيل الحكيم، أو بعبارة أخرى التأمل العميق للنظم القرآني أو الإعجاز القرآني و ما يتميز به من خصوصية تعبيرية تجلى آفاق البيان المعجز، فتتضح أبعاد المنهج القويم. و النظم لغه: ضم الشيء إلى الشيء فى نظام و تناسب، جاء فى لسان العرب: النظم: التأليف، و نظمت اللؤلؤ: أى جمعت فى السلك، و التنظيم مثله، و منه نظمت الشعر و نظمتها، و كـشـل شـئىء قرنتهـ بـآخره أو ضـممت (_____). (١) عبد الكريم الخطيب، الإعجاز فى

دراسات السابقين (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧١ م)، ص ٧. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٤ بعضه إلى بعض فقد نظمتها، و النظم: المنظوم، و الانتظام: الاتساق «١». و نظم القرآن هو: عبارته التى تشتمل عليها المصاحف صيغة و لغة «٢». أما النظم اصطلاحاً فلعل أفضل تعريف له ما جاء عن صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه «علم النحو»، و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التى نهجت فلا- تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التى رسمت لك، فلا تخل بشيء منها... فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية و فضل فيه إلا و أنت تجد مرجع تلك الصحة، و ذلك الفساد، و تلك المزية، و ذلك الفضل إلى معانى النحو و أحكامه...» «٣». و على هذا فالنظم الذى نرمى إليه هو: إبراز تآلف الألفاظ مع المعانى تآلفاً ينهض بجلاء الفكرة، و جماليات التعبير، وفق معايير معانى النحو و أحكامه، من خلال ما يحفل به التعبير القرآني من خصائص: لغوية، صرفية، بلاغية، تجلى إحياءاته، و ظلال معانيه، و سمو غاياته.

(_____). (١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مكتبة النورى، دمشق، د. ت)، مادة: «نظم». (٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف عبد السلام هارون (مطبعة مصر، ١٩٦١ م)، مادة: «نظم». (٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٤ م). ص ص ٨١-٨٣. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٥ و لدى تأمل النظم القرآني الذى سنتناوله فى تضاعيف هذه الدراسة نجده قد تمثل فى أربعة مباحث: تراءى الأول منها على صعيد السياق القرآني بعامة، و الثانى على مستوى الآية الواحدة، و الثالث من خلال المفردة القرآنية، و الرابع على نطاق الاستخدام الحرفى. و قد انصوى فى ثنايا كل مبحث ثلاثة مسارات يتناول كل منها فى ضوء المبحث الواحد ما يكشف عن خصوصية الإعجاز القرآني بأدوات الصياغة؛ اللغوية، و الصرفية، و البلاغية، و أثر ذلك فى تعميق مقاصد التنزيل المحكم. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٧

١- الإعجاز فى السياق القرآني

إشارة

١- الإعجاز فى السياق القرآني ليس بجديد القول أن إعجاز النظم القرآني و خصوصيته التعبيرية تجلت فى القرآن بعامة؛ فالقرآن

معجز كله بلفظه و معناه، يحمل في ذاته دليل إعجازه، راسما القانون الإنساني الأعلى من خلال فصاحة ألفاظه، و إصابة معانيه، و جمال إيقاعه، و بعد إحياءاته، مما جعل بلاغة القرآن: «بلاغة أسلوب تبه العقول، و تسلب القلوب، و إعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب» (١). و لما كان هذا الأسلوب القرآني المعجز قد أعجز أرباب الفصاحة، و أساطين البلاغة عن محاكاة آية واحدة من آياته فإن هذا العجز البشري - في نظري - يستدعي فقه الإحاطة بكل جوانب إعجازه، مما يقتضى الوقوف عند بعض مواطن هذا الإعجاز، أو هذا النظم من خلال خصائصه: اللغوية، و الصرفية، و البلاغية، تلك التي تألفت في وحدة واحدة من التعبير. (جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ط ٣ (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥١ م)، ١/٣. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٨ و على الرغم من أن هذه الخصائص التعبيرية: اللغوية و الصرفية و البلاغية هذه قد تداخلت فيما بينها سواء في اللون الواحد، أو بينها مجتمعة، فقد رجحنا في تصنيفها الجانب الذي يتفق مع طبيعة الدراسة و هدفها، و من هذه الخصائص:

أ- خصائص لغوية:

إشارة

أ- خصائص لغوية: تعددت و تنوعت وجوه الصياغة اللغوية على صعيد السياق القرآني مبرزة آفاق المعجزة اللغوية الكبرى. و من هذه السمات: دقة معاني الألفاظ القرآنية، التي وضعت القول الفصل لظاهرة «الترادف اللغوي» التي مثلت قضية شائكة بين علماء العربية شغلهم ردا من الزمن، و اختلفت مذاهبهم فيها. بيد أن استقراء السياق القرآني لمواضع الترادف اللفظي يجعل لكل كلمة خصوصية دلالية لا يقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها. و من الألفاظ المقول بترادفها: لفظي: «الزوجة» و «المرأة» أو بتحديد أدق «الزوج» «المرأة» تقول عائشة عبد الرحمن: «و ترى البيان القرآني يستعمل لفظ «زوج» حينما يتحدث عن آدم و زوجته، على حين يستعمل لفظ «امرأة» في مثل امرأة العزيز، و امرأة نوح، و امرأة لوط، و امرأة فرعون. و قد يبدو من اليسير أن الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ١٩ يقوم أحد اللفظين مقام الآخر، و كلاهما من الألفاظ القرآنية، فنقول في «زوج آدم» مثلا امرأة آدم ... و ذلك ما يباه البيان المعجز» (١). ثم تلعل عائشة عبد الرحمن مغزى الحكمة في تباين استخدام هذين اللفظين: «و تندبر سياق استعمال القرآن للكلمتين فيهدينا إلى سر الدلالة: كلمة «زوج» تأتي حين تكون الزوجة هنا مناط الموقف: حكمه و آية، أو تشريعا و حكما؛ في آية الزوجية، قال تعالى: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً (الروم: ٢١) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (الفرقان: ٧٤) فإذا تعطلت آيتها من السكن و المودة و الرحمة بخيانته أو تباين في العقيدة، فامرأة لا زوج: امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ (يوسف: ٣٠)، امْرَأَتُ نُوحٍ وَ امْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْهِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (التحریم: ١٠) «امرأة فرعون» و قد تعطلت آية الزوجية بينهما بإيمانها و كفره، (التحریم: ١١) (١)

عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١ م)، ص ٢١٢. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٠ و حكمه الزوجية في الإنسان و سائر الكائنات الحية من حيوان و نبات هي اتصال الحياة بالتوالد، و في هذا السياق يكون المقام لكلمة زوج ... فإذا تعطلت حكمه الزوجية في البشر بعقم، أو ترميل، فامرأة لا-زوج، كالأيات في امرأة إبراهيم (هود: ٧١) (الذاريات: ٢٩) و امرأة عمران (آل عمران: ٣٥). و توالى عائشة عبد الرحمن استقراء مواطن اختلاف الدلالة بين لفظي «الزوج و المرأة» مبينة أن عنصر الإنجاب عامل آخر لاستخدام لفظ «الزوج» دون لفظ «المرأة» فتقول: «و يضرع زكريا إلى الله سبحانه و تعالى: وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَ لِيًّا (مريم: ٥)، ثم لما استجاب له ربه، و حققت الزوجية حكمتها كانت الآية: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ

وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَ أٰصْلٰحْنَا لَهُ زَوْجَهُ (الأنبياء: ٩٠). و في آيات التشريع تتعلق الأحكام بالزوج و الأزواج حين تكون الزوجية قائمة: واقعا أو حكما؛ كأحكام الموارث، و عدة اللواتي توفى أزواجهن (البقرة: ٢٣٤). أما حين تنقطع العلاقة الزوجية بطلاق أو إيلاء، فالأحكام متعلقة بالنساء -لا بالأزواج» (١) _____.

المرجع السابق، ص ٢١٢ - ٢١٤. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢١ و على ضوء ما تقدم نستطيع تبين المعايير التي ينبغي توفرها حتى تحظى المرأة بلقب الزوجة، و هي: أن تكون العلاقة الزوجية قائمة بين الزوجين، و أن تكون هذه العلاقة قد توطدت بالتآلف الفكري و النفسى و الحسى، و ذلك بأن تكون قد أنجبت له، و على دينه، و ذات و فاء له. فإن اختل عنصر واحد من هذه العناصر كانت «امرأة» لا «زوج». و مع استقرار السياق القرآني الذي يشكل مرجعية دلالية تحسم قضية الترادف اللفظي ما نجده من تحديد مفهوم، «الأب» و «الوالد» فمفهوم الأب أعم و أشمل من الوالد؛ إذ يندرج في تضاعيفه معنى: الجد، العم، الأب الوالد، و هذا ما نلاحظه في قوله تعالى حكاية على لسان يعقوب عليه السلام: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (البقرة: ١٣٣). فالأبوة هنا بمعناها الشامل تضمنت: الجد «إبراهيم» و العم «إسماعيل» و الأب الوالد «إسحاق». و من الألفاظ الأخرى التي نقف عند مؤداها الدلالي المحدد من السياق القرآني ما نجده في لفظتي «الواحد»، «الأحد»، فلفظة الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٢ «الأحد» تشع دلالتها في آفاق عدة تحدد خصوصيتها المعجمية: منها: أنها صفة من صفات الله تعالى في: ذاته، و صفاته، و أفعاله. و قد ورد لفظ «أحد» صفة من صفات الله جل جلاله مرة واحدة في القرآن الكريم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (الإخلاص: ١). و من خصوصية هذا اللفظ أنه يستوى فيه المذكر و المؤنث يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسِتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ (الأحزاب: ٣٢) بخلاف الواحد فلا يقال «كواحد من النساء»، بل «كواحدة» (١). و فضلا عن ذلك فلفظ «الأحد» تنسحب دلالته على الأفراد و الجمع فما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (الحاقة: ٤٧) إلى جانب أن هذا اللفظ يشق منه صيغة للجمع، فيقال: «الآحدون» و «الآحاد» أما «الواحد» فلا جمع له من لفظه، إنما يقال: اثنان، ثلاثة، أربعة... إلخ. غير أن لفظ «الواحد» قد يطلق على أكثر من شيء: و إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ (البقرة: ٦١)، و هم يقصدون بالطعام الواحد «المن و السلوى»، إذ كانوا يأكلون أحدهما بالآخر، و لذلك قالوا: طعام واحد (٢). _____ (١) دائرة المعارف الإسلامية،

(القاهرة: شركة سفير). ٢٨١ - ٢٨٢. (٢) المرجع السابق، ٥ / ٢٨٢. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٣

١- اختلاف الدلالة باختلاف بنية الكلمة:

١- اختلاف الدلالة باختلاف بنية الكلمة: و السياق القرآني يعد المرجعية الدلالية للألفاظ التي تختلف معانيها باختلاف حركة بنيتها اللغوية، و هذا الاختلاف رغم تعدده المعنوي يلتقي حول الجذر اللغوي للكلمة؛ من هذه الكلمات التي وردت بمعان عدة، كلمة «الجنة» التي شكلت مثلثا دلاليا تراءى بفتح الجيم، و كسرهما، و ضمها، علما بأن الجذر اللغوي «جن» يدور حول الغطاء و الستر. و لدى تأمل هذا التعدد الدلالي «للجنة» بدءا من فتح الجيم، فجندها تأتي بمعنى دار النعيم التي أعدها الله لعباده المتقين: وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الزخرف: ٧٢). و تأتي أيضا بمعنى الحديقة ذات النخل و الشجر: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (القلم: ١٧) و كلتا الجنتين تضمنتا معنى الستر و الغطاء لكثرة الأشجار و كثافة الأغصان، و «الجنة» - بكسر الجيم - تدل على عالم الجن مقابل عالم الإنس: مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (الناس: ٦) كذلك تدل على عالم الملائكة وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا (الصفات: ١٥٨). و ذلك لاستتار الجن و الملائكة عن الأنظار. كما أن الجنة - بكسر الجيم - تدل على الذي أصابه الجنون فحجب عقله أم يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةً (المؤمنون: ١٧). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٤ و يرد معنى «الجنة» بضم الجيم ليدل على الستر و الوقاية على سبيل التعبير المجازي اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (المنافقون: ٢) أى اتخذوا أيمانهم سترا

و غطاء لفاقهم ليوهموا بصدق اعتقادهم.

٢- البعد الدلالي للمشارك اللفظي:

٢- البعد الدلالي للمشارك اللفظي: و يطلعنا السياق القرآني على ضرب آخر من التنوع اللفظي، و هو ما يطلق عليه المشارك اللفظي، الذي تنهض فيه اللفظة بمعان عدة، و هذا النوع أطلق عليه علماء الدراسات القرآنية «النظائر»، و قد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً و أكثر و أقل، و لا يوجد ذلك في كلام البشر» (١). و من هذه الألفاظ التي أوردتها السيوطي في كتابه: الإتيان في علوم القرآن، «الهدى» حيث جاءت على سبعة عشر وجهاً: - بمعنى الثبات: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (الفاتحة: ٦). - و البيان: أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ (البقرة: ٥). - و الدين: إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ (آل عمران: ٧٣) (١) السيوطي: الإتيان، ١ / ١٤١.

الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٥ - و الإيمان: وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى (مريم: ٧٦). - و الدعاء: وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (الرعد: ٧)، وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا (الأنبياء: ٧٣). - و بمعنى الرسل و الكتب: فَإِنَّمَا يَرَاتِنَكُم مِّنِّي هُدًى (البقرة: ٣٨). - و المعرفة: وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (النحل: ١٦). - و بمعنى النبي صلى الله عليه و سلم: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى (البقرة: ١٥٩). - و بمعنى القرآن: وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَى (النجم: ٢٣). - و التوراة: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى (غافر: ٥٣). - و الاسترجاع: وَ أَوْلَيْكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ (البقرة: ١٥٧). - و الحجّة: لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (البقرة: ٢٥٨) بعد قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ (البقرة: ٢٥٨) أي لا يهديهم حجّة. - و التوحيد: إِنَّ نَتِيجَ الْهُدَى مَعَكَ (القصص: ٥٧). - و السنة: فَبِهَادِهِمْ أَقْتَدَهُ (الأنعام: ٩٠) وَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (الزخرف: ٢٢). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٦ - و الإصلاح: وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (يوسف: ٥٢). - و الإلهام: أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (طه: ٥٠). - و التوبة: إِنَّا هُذِنَا إِلَيْكَ (الأعراف: ١٥٦). - و الإرشاد: أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (القصص: ٢٢) (١). و من تعدد المعاني للكلمة الواحدة؛ الصلاة، و تأتي على عدة أوجه: - الصلوات الخمس: وَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ (البقرة: ٣). - و صلاة العصر: تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ (المائدة: ١٠٦). - و صلاة الجمعة: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ (الجمعة: ٩). - و الجنزة: وَ لَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ (التوبة: ٨٤). - و الدعاء: وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ (التوبة: ١٠٣). - و الدين: أَوْصِيَهُمْ أَتَمَّتْ تَأْمُرَكَ (هود: ٨٧). - و القراءة: وَ لَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ (الإسراء: ١١٠).

(١) المصدر السابق، ١ / ١٤٢. الإعجاز

القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٧ - و الرحمة و الاستغفار: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (الأحزاب: ٥٦). - مواضع الصلاة: وَ صَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدُ (الحج: ٤٠) - لا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ (النساء: ٤٣) (١). و من الكلمات القرآنية ذات المعاني المتعددة: «الأمّة» و تأتي وفق معان عدة، منها: - الدين: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ (الزخرف: ٢٢) و قيل: لا أمّة له: أي لا دين له. - و كل جيل من الناس أمّة: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً (البقرة: ٢١٣). - و الإمام المقتدى به: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً (النحل: ١٢٠). - و جماعة العلماء: وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ (آل عمران: ١٠٤). - و فترة زمنيّة و أذكر بَعْدَ أُمَّةٍ (يوسف: ٤٥) أي بعد حين (٢).

(١) المصدر السابق، ١ / ١٤٢. (٢)

أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٦ هـ)، ١ / ٢٧ - ٢٨. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٨

٣- ألفاظ جديدة أحدثها نزول القرآن:

٣- ألفاظ جديدة أحدثها نزول القرآن: و يطلعنا السياق القرآني على ألفاظ لم يسبق استخدامها قبل نزول القرآن، حيث دعت الرسالة

المحمدية لظهور ألفاظ تواكب الحياة الجديدة، مما أوجد نوعاً من التجديد اللفظي في اللغة، يقول محمد المبارك: «من الألفاظ ما هو جديد في استعماله للمعنى الذي استعمل له، «كالحاقه» و «القارعة» و «الواقعة» و كلها ألفاظ معروفة من حيث اشتقاقها، ولكنها جديدة في إطلاقها على معنى يوم القيامة .. و كذلك لفظ «الحساب» فقد استعمل في السورة بمعنى حساب الإنسان على أعماله في الحياة الدنيا لا بالمعنى العام ...» (١). و إلى جانب الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم في معان جديدة كانت هناك ألفاظ ابتدأها التعبير القرآني ابتداءً مثل: «الفرقان، الكفر، الإيمان، الإشراف، الإسلام، النفاق، الصوم، الزكاة، التيمم، الركوع، السجود، و غير ذلك من ألفاظ الدين الحنيف ...» (٢). و كل ذلك بفضل القرآن الكريم فهو الذي حفظ العربية من الضياع .. و ثانياً آثاره أنه حوّل العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر» (٣).

(١) محمد المبارك، دراسة لنصوص من القرآن، ط ٤ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣ م)، ص ٤٥. (٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط ٦، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣ م) ص ٣٢. (٣) المرجع السابق، ص ٣٢. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٢٩

ب- خصائص صرفية:

ب- خصائص صرفية: شكلت الخصائص الصرفية المسار الثاني في إطار مبحث السياق القرآني، إذ شكلت مع الخصائص اللغوية ركيزة معرفية مشتركة لبيان خصوصية النظم القرآني و تعميق مقاصده، و من هذه السمات ما نجدها قد كشفت عن أبعاد معرفية تنظم حياة المجتمع المسلم من خلال:

ج- خصائص بلاغية:

إشارة

ج- خصائص بلاغية: مثلت أدوات الصياغة البلاغية المسار الثالث للنظم القرآني في ثنايا مبحث السياق القرآني العام، و قد تآزرت مع نظيرتها: اللغوية و الصرفية، لتشكّل أرضية مشتركة لخصوصية التعبير القرآني و أثرها في الإفصاح عن أهداف الكتاب الكريم، و من هذه السمات البلاغية:

التوظيف الدلالي للذكر و الحذف:

التوظيف الدلالي للذكر و الحذف: و نتلمس هذه السمة البلاغية في إسناد الخيرات للمنعّم، و حذف الفاعل في مقابلتهما «٢»؛ فنجد في قوله تعالى: أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (الفاتحة: ٧) و قد أضاف النعمة للنعم، و حذف فاعل الغضب في الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ (الفاتحة: ٧).

(١) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨ م) ٦٢ / ٢. (٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، (مطبعة السنية المحمدية، ١٩٥٦ م). ١٢ / ١. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٢ و يعلل العلامة ابن قيم الجوزية علة هذا التوظيف البلاغي: «إن النعمة هي الخير و الفضل، و الغضب من باب الانتقام، و العدل و الرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين و أسبقهما و أقوامهما» (١). و يشير ابن القيم على ورود هذه السمة في مواضع أخرى من السياق القرآني وفق هذه الخصوصية الدلالية، منها ما جاء على لسان مؤمنى الجن: وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (الجن: ١٠) و منه قول الخضر في شأن الفتية: فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا (الكهف: ٧٩) و قوله في شأن الجدار و اليتيمين: فَأَرَادَ

رُبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ (الكهف: ٨٢) وقوله تعالى: أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ (البقرة: ١٨٧) وقوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ (المائدة: ٣)، وقوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ (النساء: ٢٣)، ثم قال: وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ (النساء: ٢٤) «٢».

(١) المرجع السابق، ١ / ١٢. (٢)

المرجع السابق، ١ / ١٢. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٣ ولدى تلمس هذه السمة البلاغية في مواضع أخرى من السياق القرآني نجدها قد ترددت على لسان أبي الأنبياء إبراهيم: الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) (الشعراء: ٧٨-٨١)، فقد أسند إبراهيم عليه السلام لله سبحانه الصفات الخيرة: الخلق، الهداية، الإطعام، الإسقاء، الشفاء، الموت، الإحياء، في حين نسب إليه ما ليس بمستحب: «المرض»، وهذه السمة البلاغية قد جسدت لنا صورة من خلق الأنبياء، و أبانت عن منهج القرآن في تربية النفس الإنسانية، في الاقتداء بخلق الأنبياء؛ بالتزام الأدب مع الله سبحانه؛ فالشر لا ينسب إليه أدبا، و إن كان منه تقديرا. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٥

٢- الإعجاز في الآية الواحدة

إشارة

٢- الإعجاز في الآية الواحدة شكلت الآية القرآنية المبحث الثاني من الإعجاز القرآني، بما اتسمت به من مقومات تعبيرية خاصة، ألقت بظلالها على السياق الدلالي مجلية آفاق التنزيل الحكيم بأدوات الصياغة: اللغوية، و الصرفية، و البلاغية.

أ- خصائص لغوية:

أ- خصائص لغوية: من السمات اللغوية التي نلاحظها على صعيد الآية الواحدة دقة أدائها لمقام السياق و روحه، و يتجلى ذلك في الآيات الدالة على: إصابة المعنى: و تبيين هذه الخصوصية اللغوية من خلال المقارنة بين سياقين متشابهين؛ السياق الأول ورد على لسان زكريا عليه السلام عند ما تضرع إلى ربه ليهبه ذرية صالحه، ثم جاءت الاستجابة مع وجود الموانع لهذا الإنجاب من كبر السن و وجود العقم: قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (آل عمران: ٤٠). ففي هذا السياق وردت لفظه «يفعل» و لم يقل «يخلق»؛ لأن الفعل هنا يناسب مقام وجود الزوج و الزوجه، و إن كان وجود العقم و الشيخوخة مانعا للإنجاب. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٦ و جاء السياق الثاني على لسان التقي الصالحة «مريم بنت عمران»، عند ما تعجبت من مجيء الولد، و هي ليست بذات زوج، و لم تكن ارتكبت الإثم: قَالَتْ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ (آل عمران: ٤٧). ففي هذا السياق وردت لفظه «يخلق» و لم يقل «يفعل»؛ لأن خلق عيسى عليه السلام هو خرق للناموس الكوني في سنن الإنجاب؛ هو إبداع و اختراع من غير سبب يؤدي إليه، فناسب المقام هنا استخدام لفظ «يخلق» دون «يفعل» و هذه الخصوصية اللغوية للآية القرآنية قد جسدت عظمة القدرة الإلهية في الإيجاد و الخلق، تحقيقا لقوله تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يس: ٨٢). و من الآيات الأخرى التي نتلمس فيها دقة إصابة المعنى من خلال سياقين متشابهين ما نجده في قوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (إبراهيم: ١)، هذه الآية الكريمة أفصحت عن عمومية الرسالة المحمدية، و هذه العمومية نهضت بها لفظه «الناس» لتبرز ماهية هذه الرسالة، التي جاءت للبشر كافة لتكون خاتمة الرسالات السماوية، بخلاف الرسائل الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٧ الأخرى التي جاءت مقيدة بزمان محدد، و مكان معين، قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (إبراهيم: ٥) فلفظه «قومك» بيان لخصوصية

رسالة موسى عليه السلام، و أنها مقيدة بقومه و زمانه فحسب. و من ثم تآزرت اللفظتان في سياقهما العام بطرح هذا المفهوم المعرفي لماهية الرسائل السماوية بإيجاز بالغ، و دقة متناهية قد يتطلب التنويه عنه عبارات عدة. يقول أحمد مختار عمر: «و إذا كانت رسالة كل رسول محكومة بزمان معين، و مكان معين، و شعب معين، و كانت معجزة كل رسول تلائم هذه الغاية من ناحية، و ترتبط بمكان نزولها و زمانه من ناحية أخرى فقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه و سلم شاملة لكافة الأمكنة، عامه لجميع الخلق، باقية ما بقيت السموات، و الأرض ... (١)».

ب- خصائص صرفية:

إشارة

ب- خصائص صرفية: و نواكب بلاغة الإعجاز القرآني على صعيد الآية الواحدة من خلال سماتها الصرفية التي شكلت معلما آخر من معالم الأسلوب المعجز الذي يفصح عن آفاق التنزيل الحكيم. و نلمس ذلك في:

(١) أحمد مختار عمر، قاموس القرآن

الكريم (لغة القرآن)، الكويت: مؤسسة التقدم العلمي، ١٩٣٩ م) ص ٧. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٨

١- البعد الرمزي لصيغ الاشتقاق:

١- البعد الرمزي لصيغ الاشتقاق: و تأمل مؤدى هذا الاستخدام و طاقته التأثيرية من خلال قوله تعالى: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» (هود: ١١٣). هذه الآية تطرح سؤالاً فحواه: لما ذا كان هذا العقاب مسا للنار لا دخولا فيها؟! و لدى إنعام النظر بالآية الكريمة تتجلى الإجابة من ثانيا تشكيل بعض الصيغ الصرفية؛ فنجد أن «ظلموا» فعل ماض مسند لواو الجماعة، و صيغة «ظالم» اسم فاعل يفيد التحول و الآية حذرت من الميل للظالمين؛ و هذا يعنى أن صفة الظلم غير ملازمة لهم، و قد يتحولون عنها في قادمات أيامهم، بخلاف ما لو جاءت الكلمة على صيغة المبالغة «ظلمة» على وزن «فعله» التي تفيد الثبوت. فلم يقل: و لا تركنوا إلى الظلمة فتمسكم النار. و هنا تتجلى عدالة الله سبحانه و تعالى بأن جعل الجزاء من جنس العمل، فيكون عقاب الميل اليسير إلى الذين ظلموا أنفسهم فترة من حياتهم بقدر فترة هذا الميل مسا للنار لا دخولا فيها أو خلودا بها. يقول الإمام البيضاوي في هذا الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٣٩ الصدد: «و لا- تركنوا إلى الذين ظلموا، و لا- تميلوا إليهم أدنى ميل، فإن الركون هو الميل اليسير: كالترزي بزيهم، و تعظيم ذكرهم، فتمسكم النار بركونكم إليهم، و إذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلما، كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين، أى الموسومين بالظلم، ثم الميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه، و الانهماك فيه؟! (١)». و هكذا جسدت الآية بصيغها الصرفية قاعدة فقهية يرتكز عليها فى استنباط الأحكام الجزائية، بأن يكون الجزاء من جنس العمل. و الله أعلم.

٢- التجسيد المعنوي لصيغ المبالغة و التفضيل:

٢- التجسيد المعنوي لصيغ المبالغة و التفضيل: و من هذه الصيغ التي نجد لها بعدا دلاليا متميزا مختزلا طاقة تعبيرية هائلة، ما ساقه التعبير القرآني فى صيغتي: «محمد» و «أحمد». و إذا استقرنا الآيات التي ورد بها اسم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه و سلم، نجدها متضمنة هذين الاسمين: «محمد» «أحمد» و ذلك فى قوله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ (آل

(١) عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار

التنزيل و أسرار التأويل (بيروت: دار الجيل، د. ت. د. ت.)، ص ٢٨٥. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٠ عمران: ١٤٤) و

قوله على لسان عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل إني رسولُ اللهِ إليكم مُصدِّقاً لما بين يدي من التَّوراهِ وَ مُبشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (الصف: ٦). و لدى تأمل هاتين الصيغتين «محمد» «أحمد» من حيث بنيتهما اللغوية نجد أنهما مشتقتان من «الحمد» و مع ذلك فإن صيغة الاشتقاق لكل منهما روعي فيها بعدا دلاليا لم يراع في الأخرى؟ إذ نهضت بوظيفته متميزة عنها! فصيغة «أحمد» جاءت على صيغة اسم التفضيل «أفعل» من اسم الفاعل «حامد» الذي وقع منه فعل الحمد فكان «حامد». أما «أحمد» فقد زاد في أداء الحمد عن «حامد» فكان «أحمد». و يأتي اسم محمد على صيغة «مفعَل» بزيادة التضعيف على صيغة اشتقاق اسم المفعول محمود من «حمد»، الذي وصف بالحمد فكان محمودا. و على هذا فإن صيغة التضعيف التي اشتق منها اسم «محمد» تحمل في ثناياها زيادة في معنى الحمد- لأن كل زيادة في المبنى دلالة على زيادة في المعنى- كما يستشعر منها صفة ثبات هذا الحمد، و من ثم فإن اسم «أحمد» قد الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤١ جسد حمد الله مرارا؛ و الحمد لا يتأتى إلا استشعارا لفضل المنعم، و أداء حقوقه بالقلب و اللسان و الجوارح. بينما تضمن اسم «محمد» طاقة مكثفة من حمد الناس و ثنائهم تحقيقا لما وصفه به سبحانه: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ (القلم: ٤) فكان الله سبحانه و تعالى قد جمع في اسمي «محمد و أحمد» صفتي: المجاهدة و الاصطفاء، و من ثم كانت هاتان الصفتان ينبوع الثر الذي انبثقت عنه محصلة المعاني التي وصف بها الرسول الكريم؛ الصفات التي جسدت فيه قيم و فضائل القرآن، طبقا لما وصفته به السيدة عائشة: «كان خلقه القرآن» أو بما وصفه به أصحابه: «كان قرآنا يمشى على الأرض».

ج- خصائص بلاغية:

إشارة

ج- خصائص بلاغية: شكلت السمات البلاغية على صعيد الآية الواحدة مصدرا خصبا من مصادر التعبير القرآني، و بيان أثرها الدلالي في استلهاهم آفاق البيان المعجز، و من هذه السمات ما نجده في:

١- التوظيف الدلالي للإنشاء الطلبي:

١- التوظيف الدلالي للإنشاء الطلبي: جسدت هذه الصيغة على صعيد الآية الواحدة لونا من وجوه الإعجاز القرآني؛ إذ شكلت الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٢ الآية الواحدة- على قصرها و إيجازها- منظومة لعدة ألوان بلاغية، صعدت في النفس آفاق المعنى، و جلال الإعجاز و لنصغ لقوله تعالى حكاية على لسان النملة: حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (النمل: ١٨). بعد تأمل هذه الآية، و مجاوزة حالة الانبهار بهذه المخلوقة العجيبة التي تكاد تكون أصغر مخلوقات الله حجما، و أضعفهم شأنا، كيف نصّبت من نفسها واعظة و حكيمة! بل إن حالة الانبهار بهذا الجانب تكاد تتضاءل عند ما نعمق النظر بهذا التعبير الراقى الموجز الذي تضمن معنى الحذر و الاشتفاق، و الإباء، و الذكاء، و اختزل في ثناياه عدة ألوان بلاغية تفوهت بها هذه المخلوقة العجيبة جملة واحدة؛ فالنملة عند ما قالت: «يا ناد، «أيها عيّنت، «ادخلوا» أمرت، «مساكنكم» نصّت «لا يحطمنكم» حذرت «سليمان» خصّت «جنوده» عمّمت، «و هم لا يشعرون» اعتذرت، فيا لها من نملة حصيفة! فهي قد نطقت بحق، و حكمت بعدل! و هذه البلاغة الأدائية على لسان الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٣ النملة جعلت بعض العلماء يعدون هذه الآية من عجائب القرآن «١». و من السمات البلاغية التي نتلمسها في الآية الواحدة ما نجده على صعيد:

٢- ثنائية الأداء الوظيفي للاستفهام الإنكاري:

٢- ثنائية الأداء الوظيفي للاستفهام الإنكاري: نهض الاستفهام الإنكاري بوظيفة معرفية مزدوجة، وظيفه الوعد و الوعيد في آن واحد؛ هذه الوظيفة قد ألفت بظلالها المعنوية مبصرة بنعم الله و نقمه في حياتين متباينتين؛ دار الفناء، و دار البقاء، و ذلك من خلال قوله تعالى: **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** (الرحمن: ١٣) و لدى تأمل المواضع التي وردت فيها هذه الآية نجدتها قد ترددت في مواضع النعم، كما ترددت عند ذكر النقم. و من نماذجها في مواضع النعم قوله تعالى: **وَ الْأَرْضَ وَ وَصَّحَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ _____ فِ وَ الرَّيْحَ _____** (الرحمن: ١٠ - ١٢).

(_____) جاء في تفسير ابن الجوزي عن قوله تعالى: **قَالَتْ نَمَلَةٌ ... «أى صاحبت بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوما عبر عنه بالقول، و لما نطق النمل كما ينطق بنو آدم أجرى مجرى الآدميين فقليل: «ادخلوا» و ألهم الله تلك النملة معرفة سليمان معجزا له»، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (المكتب الإسلامي، د. ت.)، ١٦٢/٦. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٤ هذا جانب من النعم التي صورتها سورة الرحمن، ثم كررت بعدها صيغة الاستفهام الإنكاري، **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** و لقد حسن التكرار تلافيا للوجود و الإنكار، لا سيما أن الاستفهام الإنكاري تقريري في مضمونه، و يتلقى الإجابة التلقائية الاعترافية من المخاطب نفسه؛ «إذ كلما ذكر الله نعمة و ربح و أنكر على من كذب بها» (١). و كيف للإنسان أن ينكر هذه النعم العظمى و قوام حياته و معاشه منها و عليها؟! فالأرض بسطها المنعم لعباده ليستقروا عليها، و ينتفعوا بخيراتها، من شتى أنواع النباتات المختلفة الطعم و الألوان و الروائح: يقول صاحب البحر المحيط: «فيها فاكهة: ضرور مما يتفكه به ... و نكر لفظها لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها، ثم ثنى بالنخل فذكر الأصل و لم يذكر ثمرتها، و هو التمر، لكثرة الانتفاع بها من: ليف، و سعف، و جريد، و جذوع، و جمار، و ثمر، ثم أتى ثالثا بالحب الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم، و هو البر و الشعير، و كل ما له سنبل، و وصفه بقوله: **ذُو الْعَصْفِ** تنبيها على إنعامه عليهم بما يقوتهم من الحب، و يقوت (_____) محمد محمود**

حجازي التفسير الواضح، ط ٦، (مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٧٥ م، ١٢٧/٢١. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٥ بهائمهم ... و بدأ بالفاكهة، و ختم بالمشوم، و بينهما النخل و الحب، ليحصل ما به يتفكه، و ما به يتقوت، و ما به تقع اللذائذ من الرائحة الطيبة ...» (١). و إلى جانب ذكر هذه النعم العديدة تسوق السورة نفسها ألوانا من صنوف النقم: **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْمِعْتُمْ أَنْ تَتَفَكَّرُوا مِنْ أَمْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْقُذُوا لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ (الرحمن: ٣٣) (٢)، يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاظٍ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)** في هذه الآيات يتجه الخطاب القرآني إلى الثقلين: الإنس و الجن، بصفه الأمر الذي يخرج من مراده الحقيقي إلى الأمر التعجيزي الذي لا يستطيعون حياله الفرار من قضاء الله و عقابه إلا بقوة و قهر، و أنى لهم ذلك؟! لن يكون لهم هذا الفرار (_____) (١)

أبو حيان النحوي، البحر المحيط (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، د. ت) ٨/ ١٩. (٢) هذه الآية فهمت لدى بعض المثقفين بأن السلطان الذي جاء فيها يراد به «سلطان العلم» و بخاصة بعد أن تم ارتياد الفضاء. و قد أغفل هؤلاء قراءة الآية في سياقها العام مما ينافي هذا الفهم. و قد فسر البيضاوي الآية من خلال سياقها فقال: «... إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات و الأرض هارين من الله، فارين من قضائه، فانفذوا أي فاخرجوا، «لا تنفذون» لا تقدرتون على النفوذ «إلا بسلطان» إلا بقوة و قهر، و أنى ذلكم»، البيضاوي، أنوار التنزيل، ٨/ ١٩٠. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٦ لما يتعقبهم و يرصدهم من العذاب؛ و أي عذاب؟! إنه صور من الهول و الفزع فوق طاقة البشر! صور لا يستطيع خيال الإنسان تمثلها، فكيف بمعابنتها، و معاشة أهوالها؟! و بعد أن رسم التعبير القرآني هذه الصور لصنوف النقم وردت صيغة الاستفهام الإنكاري لتأكيد: **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** بمعنى: عن أي من هذه النعم العديدة و الجليلة تجحدون؟! و هنا ينهض استفهام آخر من أغوار النفس يقابل الاستفهام الأول قائلا: ما هي هذه النعم التي نوهت

عنها الآيات؟! إنها ليست سوى صنوف من ألوان العذاب!! و من خلال هذين التساؤلين ينهض سؤال ثالث يستفسر عن الحكمة في ذكر هذه النقم، ثم تقريرها بأنها من ألوان النعم؟! و الإجابة على هذه التساؤلات تتجلى في أثر النظم القرآني على السياق الدلالي، بغية تعميق مقاصد التنزيل الحكيم! و ذلك بتجسيد رحمة الله بعباده، و رأفته بهم، قبل أن ينالهم وبال أعمالهم، ليتاح لهم فرصة مراجعة النفس قبل فوات الأوان: فتبصيرنا بمآل أعمالنا في الحياة الدنيا لهي من أجل نعم المنعم علينا. و كما قالت العرب: من حذر ك فقد بشرك. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٧ و في هذا الصدد من ذكر آيات النقم و توظيفها في مجال النعم، يقول الخطابي: ... فإن قيل: إذا كان المعنى في تكرار قوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تجديد ذكر النعم في هذه السورة، و اقتضاء الشكر عليها، فما معنى قوله: يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ثم تبعه قوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ و أى موضع نعمة هاهنا؟ و هو إنما يتوعدهم بلهب السعير، و الدخان المستطير قيل: إن نعمة الله تعالى فيما أنذر به، و حذر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها بإزاء نعمة على ما وعد، و بشر من ثوابه على طاعته، ليرغبوا فيها، و يحرصوا عليها، و إنما تحقق معرفة الشيء بأن يعتبر بضده ليوقف على حده، و الوعد و الوعيد و إن تقابلا في ذواتيهما فإنهما متوازيان في موضع النعم بالتوقيف على مآل أمرهما، و الإبانة على عواقب مصيرهما «١».

٣- البعد الوظيفي للتذليل:

٣- البعد الوظيفي للتذليل: حقق هذا اللون البلاغي دورا واضحا في إعجاز النظم القرآني؛ تجلى في التناسق الدقيق بين دقة الحكم الشرعي و السياق الدلالي. أو بعبارة أخرى التلاحم و التناسق المعنوي بين صدر الآية و عجزها، بحيث لو ختمت الآية بصيغته أخرى من صيغ (١) _____ حمد إبراهيم الخطابي، إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط ٤، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، القاهرة: دار المعارف، د. ت.) ص ٣٥. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٨ التذليل الأخرى لانتقاص الحكم بين الختام و الاستهلال، و هذا ما يتضح في قوله تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة: ٣٨). ربما يلفت الانتباه في هذه الآية للوهلة الأولى ما طرحته من حكم القصاص لجريمة السرقة. و قد لا ننع منظر مليا في ختامها فيما لو جاءت على نحو آخر من التعقيب، مثل «و الله غفور رحيم» أو «و الله سميع عليم» غير أن دقة النظم بين البدء و الختام تجعلنا في حالة إعجاب تستأثر بالفكر و الوجدان. و لعل خير من يطلعنا على دقة هذه الصياغة من كان في موضع هذا الإعجاب: يقول الأصمعي: «قرأت هذه الآية، و إلى جنبي أعرابي، فقلت: (و الله غفور رحيم) سهوا، فقال: الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله! قال: أعد، فأعدت: و الله عزيز حكيم. فقال: أصبت، كلام الله! فقلت له: أ تقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزّ فحكّم فقطع؛ و لو غفر و رحم لما قطع!! «١» _____».

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٣٥٤. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٤٩

٤- دور الإسناد الخبري:

٤- دور الإسناد الخبري: شكل الإسناد الخبري ركيزة مرجعية على صعيد تنظيم المجتمع الإسلامي، مؤصلا فقه المنهج الدعوى من خلال طرح طريقة الرسل في التدرج المرحلي لتبليغ الدعوة وفق استجابة المبلغيين. و تتلمس هذا النهج في الآيات التي ساقنا قصة أهل القرية المكذبين لرسولهم - على طريقة أسلوب القرآن في إيراد القصص للعتة و العبرة - حيث تنهض كل آية بخطوة مرحلية في إطار المهمة الدعوية؟ قال تعالى: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصِحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ (يس: ١٣-١٤) و هذا التأكيد من المبلغيين اقتضى تأكيد المهمة الدعوية بمؤكد واحد، عليها تلقى استجابة في نفوسهم؛ لأن

الخبر الأول جاء غفلا من التوكيد، لأنه مجرد إخبار لخالي الذهن منه، و من ثم جاءت الآية الثانية تؤكد مهمة الرسل الدعوية بعد أن لاقت دعوتهم التشكيك فيها: فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (يس: ١٤) بيد أن هذا التوكيد لم يجابه إلا بمزيد من الإعراض و التشكيك حتى بلغ مبلغ الإنكار: قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (يس: ١٥). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٠ و جريا على عادة الرسل في احتواء أقوامهم، و صبرهم على تكذيبهم، و عدم اليأس من هدايتهم فقد أعادوا الكرة عليهم أملا في هدايتهم، فلجئوا إلى تعزيز دعوتهم بمؤكدات أخرى علّها تضع حدا لإنكارهم، فجاءت الآية التالية تؤدي هذه الغاية بمؤكدات ثلاث: «إن التوكيد» «لام التوكيد» إلى جانب علم الله سبحانه الذي هو أقوى عوامل هذا التوكيد قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (يس: ١٦). و هذا التدرج في مراحل عرض الخبر الدعوى الذي جسده الآيات، و صنفه علماء البلاغة بالطبي، و الابتدائي و الإنكاري، وفق استجابة المتلقى قد أشار إليه صاحب التسهيل معللا مقتضى عرض الآيات بين الإبلاغ و الإنكار، فيقول: «قالوا إنا إليكم لمرسلون» إنما أكدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جواب المنكرين، بخلاف الموضع الأول فإنه مجرد إخبار» (١). إلى جانب أن هذا التدرج في عرض الخبر قد جسده سنة من سنن الحياة البشرية في الإعراض و الإنكار إزاء الهداية (محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، ١_____)

التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق محمد عبد المنعم يونس، إبراهيم عوض، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، د.ت. ١٦١ / ٣). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥١ و الإرشاد، فضلا عن طرحه للمنهج الراقي للتخاطب و أدب الحوار. و مع صورة أخرى من صور التوكيد الخبري في إطار روعة النظم القرآني في الآية الواحدة نلمس صورة أخرى من سنن الحياة البشرية إزاء الاستجابة الإيمانية، مما نجده في قوله تعالى: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ (البقرة: ١٢) و قوله تعالى: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ (البقرة: ١٣). هاتان الآيتان تمثلان فئة الضلال و النفاق إزاء الفئة الأولى فئة الجحود و النكران. الفئة الأولى تعلن الكفر بصريح القول، و الفئة الثانية تبطن الكفر و تظهر الإيمان بزيغ الكلام. و من ثم جاء وصفهم الدقيق بما يجعلوا خبايا نفوسهم بتعدد ألوان التوكيد فيهم للتنبيه على خطرهم و عظم فسادهم، فساقط الآية عدة مؤكداات هي «آلا» و «إن» و الضمير المنفصل «هم» و تعريف الخبر في «المفسدون» و «السفهاء»، و ينوه وهبة الزحيلي عن خصوصية هذا النوع التوكيدي و أثره الاجتماعي: إن إفسادهم اقتضى هذا التنوع في التوكيد، لعدم إدراكهم خطورة عملهم الذي أصبغ غريزة لهم، مركزة في طباعهم (١). (وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ١_____)

(دمشق: دار الفكر، ١٩٩١ م)، ٨٤ / ١. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٢

٥- الدقة الأدائية للتصوير القرآني:

٥- الدقة الأدائية للتصوير القرآني: تعددت و تنوعت ألوان التصوير القرآني، و شكلت عاملا قويا في تحريك المشاعر، و إعمال الفكر، و إثارة الخيال، محققة مقاصد القرآن بعمق و تنوع هذا التصوير. يقول سيد قطب عن مكانة التصوير القرآني و مظهره: «إن التصوير هو القاعدة الأساسية في القرآن، و إن التخيل و التجسيم هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير» (١). و من مظاهر هذا التخيل و التجسيم ما نجده في قوله تعالى مصورا به شجرة الزقوم: طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ (الصافات: ٦٥) و لدى تأمل هذه الآية يتبادر للذهن تساؤل: كيف يرسم الخيال البشري لشجرة الزقوم صورة للقبح يقيس بها على الأصل، و هو لم ير شجرة الزقوم، كما لم يشاهد رأس الشيطان؟! ثم كيف يشبه مجهول بمجهول و الصورة وظيفتها تفسير المجهول بمعلوم؟! هنا تتجسد دقة التصوير القرآني بتوسيع دائرة الصورة حتى يذهب خيال الإنسان كل مذهب في تمثيل صورة (١_____)

القرآن، ط ٧، (بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢ م)، ص ٨٧. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٣ للقبح؟ لا سيما

إذا كان الطرف الأول من الصورة مفردا (شجرة الزقوم) و الطرف الآخر متعددا (رءوس الشياطين) فيكون مؤدى هذا التخيل صورة متناهية فى القبح دون تحديد لهذا القبح، مما يصعد طاقة الصورة التأثيرية، و وظيفتها الدلالية. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٥

٣- الإعجاز فى المفردة القرآنية

إشارة

٣- الإعجاز فى المفردة القرآنية شكلت المفردة القرآنية المبحث الثالث للنظم القرآني مشكلة مع المبحثن الآخرين مثلنا دلاليا يسبر أغوار النص القرآني، محققا غاية التشريع الحكيم من خلال مسارات ثلاث: لغوية، صرفية، بلاغية.

آ- خصائص لغوية:

إشارة

آ- خصائص لغوية: من الخصائص اللغوية التى نلمسها على صعيد المفردة القرآنية:

١- مراعاة الألفاظ لمقام السياق:

١- مراعاة الألفاظ لمقام السياق: و لدى تأمل هذا الاستخدام تبهرنا دقة معانى المفردات فى الآيات التى قد يترأى فيها التعارض الظاهري لدى الوهلة الأولى! بيد أن التأمل العميق لمعانى هذه المفردات، يجلى أبعادها، و يكشف عن دقة استخدامها فى سياقها. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٦ و من هذه الآيات ما ورد فى وضع الضوابط لعلاقة الابن المسلم بأبيه الكافر، كما جاء فى قوله تعالى: وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (لقمان: ١٥) ثم نجد ضوابط هذه العلاقة فى آية أخرى: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ (المجادلة: ٢٢) هذه الآية قد توحى للذهن لدى القراءة الأولى أنها تعارض الآية السابقة: فالآية الأولى تحت الأبناء على إحسان معاملته الآباء، و الثانية تنهاهم عن ذلك، مع أنه لا تعارض بين الآيتين لدى التعمق الدقيق بينهما لدلالة المفردتين: «يوادون» فى الآية الأولى و «معروفا»، فى الثانية! حيث يتجلى التناسق الدقيق بينهما؛ فمعنى «الود» أن تكون بينك و بين المودود علاقة محبة. جاء فى لسان العرب: «وددت الرجل أودّه ودا: إذا أحببته» (١). أما «المعروف» فلا يشترط فيه المحبة؛ لأن المعروف يبذله المرء لمن يحب، و لمن لا يحب؛ قال صاحب اللسان: «المعروف النصفة، و حسن الصحبة مـ الأهل و غيره مـ مـ النـ سـ» (٢).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة:

«ودد». (٢) المصدر السابق، مادة: «عرف». الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٧ و من هنا جاءت الآية الأولى تمنع إقامة علاقة و دية مع الوالدين غير المسلمين، لأن الإيمان لا يتجزأ، و من ضوابط هذا الإيمان أن يكون الحب و الكره فى الله «١»، و هذا الحب و الكره ينسحبان حتى على الأبوين، لأن حب الله سبحانه أولى من حبهما، و بتحقيق هذا الحب تنعقد أواصر الإيمان، فى حين لا يمنع عدم الحب من تقديم المعروف لهما، و إحسان صحبتهما، اعترافا بفضلهما. و من المفردات التى تسطع بقوة أدائها الدلالي، موضحة مفهوما عقديا، من خلال ما قد يترأى بينها من تعارض ظاهري! ما نجده فى مفردة «الهدى» فهى تأتى لتدل على أن الهداية أمر تكلفى يخضع لاستجابة ذاتية: وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (فصلت: ١٧) كما وردت فى مواقع أخرى

لتدل على أن الهداية أمر توقيفي من الله سبحانه، لا مجال فيه للإرادة الذاتية، كما جاء في قوله تعالى: قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ (آل عمران: ٧٣) (_____). (١) جاء في صحيح البخارى: «الحب في الله، والبغض في الدين من الإيمان»، انظر: محمد بن إسماعيل البخارى، صحيح البخارى، (دار الفكر، ١٩٨١ م)، ٨ / ١. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٨ ولدى إعمال الفكر فى الآيتين يتبدى التناسق التام بينهما من خلال فقه مدلول الهداية العقدي الذى أوحى به الآيتان، فالآية الأولى أشارت إلى هداية «الدلالة» و هى هداية عامة شاملة لجميع الخلق، هداية الدلالة للمنهج الرباني. والآية الثانية أشارت إلى النوع الثانى من الهداية؛ هداية «المعونة» و هى طاقة إضافية تكون رافداً لهداية الدلالة، و الارتقاء بصاحبها إلى مرتبة سامية: مرتبة التقوى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (محمد: ١٧) و هذه المرتبة من الهداية ترقى بأصحابها إلى مكانة أثيرة فى الجنة: وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) (ص: ٤٩، ٥٠).

٢- الكثافة الدلالية للمفردة القرآنية:

٢- الكثافة الدلالية للمفردة القرآنية: ترددت هذه السمة اللغوية بوضوح فى كثير من المفردات القرآنية، و من هذه المفردات ما نجده فى مفردة «الحمد» فى قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الفاتحة: ٢) فهى قد أفادت إلى جانب حسن الافتتاح و روعة المطلع، المبالغة فى الثناء على الله سبحانه، بما يليق بجلاله؛ لأن «اللام» فى الحمد الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٥٩ تضمنت معنى الاستغراق «١»، و هذا لا يتأتى لو جاءت اللفظة على الأصل، بصيغة: (أحمد الله رب العالمين).

ب- خصائص صرفية:

إشارة

ب- خصائص صرفية: نهضت الخصائص الصرفية على صعيد المفردة القرآنية بوظيفته دلالية واضحة المعالم عمقت أهداف الكتاب الكريم. و قد تراءى ذلك فى:

١- البعد الدلالي لصيغ المبالغة:

١- البعد الدلالي لصيغ المبالغة: اتسمت صيغ المبالغة بمخزون دلالي عميق يتكافأ مع دقة التشكيل اللغوي للصيغة بمعناها التوقيفي الاصطلاحى؛ و هذا ما نلاحظه فى اسمى الجلالة: «الرحمن» «الرحيم». و لدى إنعام النظر بهاتين المفردتين نجد أنهما مشتقتان من «الرحمة» إلا- أن الصيغة الاشتقاقية لكل منهما حملت فى ثناياها بعدا دلاليا لم يتوفر فى الأخرى! ف «الرحمن» تضمنت معنى عظيم الرحمة؛ لأن «فعالن» صيغة مبالغة فى كثرة الشئ و عظمته، و لا- يلزم فيه الدوام كغضبان، و نعلان «٢».

(_____١) محمد على الصابونى، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١ م)، ١ / ١٢. (٢) لأنها معدولة عن اسم الفاعل: راحم، غاضب، ناعس. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٠ أما صيغة «الرحيم» فتضمنت معنى دائم الرحمة، لأن «فعليل» تستخدم فى الصفات الدائمة، ككريم، و ظريف، فكانه قيل «العظيم الرحمة الدائم الإحسان» «١». يقول الإمام الطبرى منوها عن الخواص الدلالية للرحمن و الرحيم: «... هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه. و أنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه ... و قد خصَّ عباده المؤمنين فى عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه إياهم لطاعته، و الإيمان به و برسله، و اتباع أوامره، و اجتناب معاصيه ... كما

قال جل ذكره: وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٢﴾. و من المفردات ذات الكثافة الدلالية ما نجده على صعيد المعاني الاشتقاقية لمفردة «الملك» حيث نجد هذه الصيغة قد اختزلت عدة مراحل للملكية التي نجدها في اشتقاقات أخرى للمفردة: فمنها ما يأتي بمعنى «مالك» و هو الملك الذاتي للفرد، و يأتي منها «ملك» و هو الحاكم، و يأتي منها «ملك» و هو مالك من يملك. (١) الصابوني، صفوة التفاسير، ١٢/١.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار الجيل، القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٧ م)، ١/٤٢. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦١ و لما كانت غاية التعبير القرآني التركيز على المفاهيم العقديّة و ترسيخها بالنفس الإنسانية، فقد جاء بصيغة الملكية من أصلها، لينبه الأذهان إلى أنه سيأتي اليوم الذي لا يوجد فيه مالك سواه: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (غافر: ١٦).

٢- الوظيفة الدلالية للإسناد الجمعي:

٢- الوظيفة الدلالية للإسناد الجمعي: شكلت صيغة الإسناد الجمعي ملمحا بارزا في تحقيق أهداف البيان القرآني، و ذلك من خلال التلاحم الدقيق بين التشكيل الصرفي؛ و المفهوم العقدي، بحيث يساند أحدهما الآخر، و يتجلى ذلك في التشكيل الصرفي لمفردتي: «نعبد» «نستعين» من خلال ورودهما بصيغة الجمع، مع أن المتلفظ بهما فرد واحد. فلم يقل: (إياك أعبد، و إياك أستعين)، و حكمه هذا الإسناد الجمعي- و الله أعلم- «للاعتراف بقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك، فكأنه يقول: أنا يا رب العبد الحقير الدليل، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردتي، بل أنضم إلى سلك المؤمنين الموحدين، فتقبل دعائي في زميرتهم، فحسبنا جميعا نعبداك، و نستعين بك» (١). (١) الصابوني، صفوة التفاسير، ١٣/١.

الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٢

ج- خصائص بلاغية:

إشارة

ج- خصائص بلاغية: حققت الخصائص البلاغية على صعيد المفردة القرآنية مرجعية مزدوجة تجلت على المستوى الديني و البلاغي، و تتلمس ذلك في:

١- التصعيد الدلالي لصيغة التنكير:

١- التصعيد الدلالي لصيغة التنكير: طرح هذا اللون البلاغي الاستعداد ليوم الدين ببلاغة التعبير على مستوى التنكير، و ذلك في قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا (البقرة: ١٢٣). في هذه الآية الكريمة جاء التنكير في مفردة «يوما» لإفادة المبالغة و التهويل في شأن ذلك اليوم الذي يأخذ تصويره في النفس كل مأخذ لاستكناه أحداثه، و شدة أهواله، و هذه الصورة من الفزع النفسي لم تكن على هذا النحو من الجسامه فيما لو جاءت المفردة على صورة التعريف (و اتقوا اليوم) لأن المعروف و المألوف لا تخشى عواقبه، و من ثم لا يجدي التحذير منه لاجتناب عواقبه! الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٣

٢- البعد الرمزي للتقديم و التأخير:

٢- البعد الرمزي للتقديم والتأخير: و مع مواكبة السمات البلاغية على صعيد المفردة القرآنية تتجلى سمه أخرى تبرز أثر النظم القرآني في بيان أهداف البيان المعجز، و يتجلى ذلك في قوله تعالى: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ (التحریم: ١١). هذه الآية الكريمة أفادت تجسيد صورة من صور الحب الإلهي؛ الحب الصادق المنزه عن المنافع، و هذه القاعدة الإيمانية تراءت من خلال تقديم «عندك» على «بيتا» و هذا التقديم قد جسّد بأن امرأة فرعون قد آثرت جوار الله على نعيم الجنان؛ إذ لم تأت صياغة الآية على هذا النحو: (رب ابن لي بيتا عندك في الجنة)، و هذا دليل على عظم المحبة و سموها، فهي في شوق للمنعم لا- للنعم، و للمعطي لا للعطاء، و للجار قبل الدار! هذا فضلا عن تقريرها لقاعدة إيمانية: «عقيدة الولاء و البراء» عقيدة الحب و الكره في الله! فقد تيرأت من الزوج، و تحددت الطغيان، صبرت على الابتلاء، لترقى إلى مرتبة سامية من العطاء؟ إلى جوار الله! و من الخواص الأخرى للتقديم و التأخير التأصيل لقضية عقديّة، تتجلى في قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الفاتحة: ٥) بتقديم مفردة «إياك» على الفعل «نعبد» الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٤ و هذا التقديم قد احتوى كثافة دلالية لا يمكن تحقيقها فيما لو جاءت الآية على مقتضى التركيب المألوف بتقديم الفعل على المفعول «نعبدك و نستعينك» فقد أفاد هذا التقديم للضمير «إياك» معنى الحصر، أو القصر، كما يقول البلاغيون. بمعنى أن هذا التقديم قد قصر تحقيق العبودية و الاستعانة على الله وحده دون سواه، و لو لم يتم هذا التقديم لاحتمل الآية العطف عليها، و من ثم فإن العبادة و الاستعانة قد تصرف لله سبحانه و لسواه!! و على هذا فصيغة الحصر أو ما كان حقه التأخير قد جلت مفهوم الألوهية، و أن الله وحده هو المعبود و المستعان.

٣- الوظيفة الدلالية للفاصلة القرآنية:

٣- الوظيفة الدلالية للفاصلة القرآنية: شكلت الفاصلة القرآنية سمه من سمات التلاؤم الصوتي، و روعه الأداء في النظم القرآني، و هذه الروعة الأدائية للفاصلة القرآنية نلاحظها في قوله تعالى: وَ الضُّحَى (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى (٣) وَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَ وَجَدَكَ عَانِلًا فَأَغْنَى (٨) (الضحى: ١-٨). في هذه الآيات حذف كاف الخطاب في: «قل، فأوى، الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٥ فهدى، فأغنى» و هذا الحذف قد علله بعض المفسرين بأنه كثير للتخفيف رعاية للفواصل «١»، إلا أن بعض المهتمين بالدراسات القرآنية من القدماء و المحدثين قد نوهوا عن أن للفاصلة القرآنية وظيفة دلالية توازر مهمتها الإيقاعية، يقول الرماني: «و فواصل القرآن كلها بلاغة و حكمه، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها» (٢). و تعلق عائشة عبد الرحمن بأن حذف كاف الخطاب في «قل» و ما يليها هو حذف يقتضيه مقام الخطاب، و هو تجنب مخاطبة الله سبحانه رسوله في موقف الموانسة بجفاف القول: «و لو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الملحظ اللفظي فحسب لما عدل عن رعاية الفواصل في الآيات بعدها: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) (الضحى: ٩-١١) و ليس في السورة كلها «ثاء» فاصله، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق ... و نرى- و الله أعلم- أن حذف كاف من: (١) ابن قيم الجوزية، مدارج

السالكين، ١/٦. (٢) على بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله زغلول سلام، ط ٣، (القاهرة: دار المعارف، مجموعة «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، و الخطابي، و الجرجاني، ١٩٥٦ م)، ص ٩٨. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٦ «و ما قل» مع دلالة السياق عليها، تقتضيه حساسية مرفهة بالغة الدقة و اللطف، و هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإناس بصريح القول «و ما قلاك» لما في القلي من حس الطرد، و الإبعاد، و شدة البغض. أما التوديع فلا- شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة، و أمل اللقاء «١». و وفق هذا الدور الوظيفي ترددت جميع الفواصل في النظم القرآني، محققة دقة النظم، و عمق المعنى، و

جمال الإيقاع () _____ (١) عائشة عبد

الرحمن، الإعجاز البياني، ص ٢٥٠. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٧

٤- الإعجاز في الاستخدام الحرفي

إشارة

٤- الإعجاز في الاستخدام الحرفي مثل الاستخدام الحرفي المبحث الرابع من الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل الحكيم. هذا الاستخدام قد تعدى حيزه الحرفي إلى التأثير على السياق النصي تأثيراً قد يغلب على المعنى العام بما يقتضيه مقام السياق. وقد توزع هذا المبحث لخصائص ثلاث: لغوية، و صرفية، و بلاغية.

أ- خصائص لغوية:

إشارة

أ- خصائص لغوية: لعل من أبرز السمات اللغوية للاستخدام الحرفي على الصعيد اللغوي ما نلاحظه في:

١- الخصوصية الدلالية للحرف القرآني:

١- الخصوصية الدلالية للحرف القرآني: تميز الحرف القرآني بوظيفته معنوية مكثفة بحيث لا يقوم شيء آخر مكانه من الأشياء التي قد ترادفه، أو تقترب من معناه. و من أمثلة الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٨ هذه الدقة الادائية العالية أن الحرف يستقل بمفرده بطرح مبدأ عقدي؛ و هذا ما نلاحظه في قوله تعالى: وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا (هود: ٦). هذه الآية أفادت تجسيد صفة من صفات الربوبية و هي «الرزق»، إذ ما من دابة على الأرض من إنسان و حيوان إلا و قد تكفل الخالق سبحانه بتهيئة أسباب رزقها! فكما كان هو خالقها كان هو رازقها. و هذا المعنى الدلالي لمفهوم عطاء الربوبية جسده في الآية الكريمة حرف «على» تجسيدا دقيقا، بحيث لا يؤدي هذا شيء آخر يوازيه في الوظيفة المعنوية؛ كأن يستخدم الطرف «عند» بدلا من «على»، علما بأن السياق يستقيم معنويا و عقديا و أسلوبيا فيما لو جاءت الآية على هذا النحو: (و ما من دابة في الأرض إلا عند الله رزقها) بيد أن التعمق لكلا السياقين يكشف عن بون شاسع بينهما، مما يتنافى مع مقتضى عطاء الربوبية الذي جسده الآية؛ لأن استخدام «عند» لا يلزم الأداء، فقد أقول «رزقك عندي و لكني سأحرمك منه» أما لو قلت: «رزقك علي» فأنا ملزم أن أمدك به، و الله سبحانه لا يلزمه شيء، و لكنه ألزم نفسه بنفسه تفضلا منه و كرما. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٦٩

٢- دقة الاستخدام العددي:

٢- دقة الاستخدام العددي: شكل الاستخدام العددي في السياق القرآني نموذجا من نماذج الإعجاز اللغوي الذي نقف إزاءه مبهورين، ليس فقط لأن مناط الإعجاز حرف واحد، إنما أيضا لأن هذا الحرف قد استقل بنفسه بيان هدف التنزيل الحكيم الذي قد يحتمل أكثر من تأويل: من ذلك ما جاء في آيتي سورة الزمر: وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (الزمر: ٧١). و قوله تعالى: وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (الزمر: ٧٣). هاتان الآيتان الكريمتان تصوران جانبا من يوم الحشر الأكبر بوعيده و وعده، حيث يساق

المجرمون الأشرار كما يساق أشقياء الدنيا إلى المعتقلات مشيعين بالخزي و العار. و يساق المتقون الأبرار إلى دار النعيم المقيم، كما يساق العظماء الوافدون على الملوك مشيعين بالإجلال و الإكبار. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٠ و على الرغم من أن كلتا الآيتين قد جاءتا على النسق التعبيري نفسه، إلا أن آية أهل النار قد خلت من حرف «الواو» في قوله تعالى: حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا بينما وردت آية أهل الجنة متضمنة هذه «الواو»: وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا «١» فما الحكمة من مغزى وجود «الواو» في آية أهل الجنة؟! و لعل أقرب الإجابات التي تتبادر إلى الذهن من ورود هذه «الواو» هي روعه و جلال الموقف، كما نوه عن ذلك بعض المفسرين: «و الحكمة في زيادة الواو هنا «و فتحت» دون التي قبلها أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور و الفرح فإنها تفتح انتظارا لمن يدخلها» ٢ (_____). ١) ذكر ابن

كثير في تفسير هذه الآية: «لم يذكر الجواب هاهنا، و تقديره: إذا كان هذا سعدوا و طابوا و سروا و فرحوا بقدر ما يكون لهم من نعيم. و إذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء و الأمل؛ إسماعيل بن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق، محمد على الصابوني، (بيروت: دار القرآن الكريم، ٩٩٣ م)، ٣ / ٢٣٢. (٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (دار الفكر، ١٩٧٧ م) ٣ / ٣٨١. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧١ بيد أن الثعالبي قد ذكر سر استخدام هذه الواو بما يتلاءم مع الدقة الأدائية العالية للنظم القرآني و ما يتفق و لغة العرب في استخدامها قائلا: «... و منها واو الثمانية كقولك: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، و في القرآن: سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَالْبُحْبُوحِ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَالْبُحْبُوحِ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَالْبُحْبُوحِ (الكهف: ٢٢) و كما قال تعالى في ذكر جهنم: حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا بِلا واو، لأن أبوابها سبعة، و لما ذكر الجنة قال: حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا فَاَلْحَقْ بِهَا الْوَاوُ لِأَنَّ أَبْوَابَهَا ثَمَانِيَةٌ، و «واو» الثمانية مستعملة في كلام العرب» ١).

٣- غلبة المعنى الحرفي على السياق النصي:

٣- غلبة المعنى الحرفي على السياق النصي: حقق استخدام حرف الجر في التعبير القرآني تأثيرا قويا غلب على السياق النصي، بحيث يتغير مضمون السياق تبعاً لتغير الحرف حتى مع الفعل الواحد؛ و من شواهد ذلك قوله تعالى: فَرَاغَ إِلَى آلِهِتَهُمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْظِفُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) في هذا السياق القرآني يترأى استخدام حرفي الجر «إلى» و «على» مع الفعل «راغ» فمما العلة _____ من اختلاف _____ ف هذا الاسم _____ تخدام؟! (_____)

فقه اللغة و أسرار العربية، تحقيق سليمان الباب (دمشق: دار الحكمة، ١٩٨١ م)، ص ٣٨٦. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٢ و تبدو علة هذا الاستخدام من خلال أن الفعل يقيد معناه بالاستخدام الحرفي «إلى»، و من ثم يلقى كل حرف بظلاله المعنوية على السياق؛ فعند ما أريد في الآية الأولى الوصول للغاية جىء بحرف الجر «إلى»؛ لأن معناه الخاص انتهاء الغاية، و الفعل «راغ» يتعدى إلى مفعوله في العادة بهذا الحرف. و عند ما أريد معنى الاستعلاء الذي يوافق «راغ» الضارب المسيطر على ما يضرب جىء بحرف الجر «على» علما بأن الفعل لم يتغير صورته، سواء في بنيته اللغوية، أو دلالاته المعنوية. و تطرد هذه الخاصية للاستخدام الحرفي في آيات أخرى نجدها في قوله تعالى: وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ (المطففين: ٣٠) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (الصفافات: ١٣٧). مما يلفت الانتباه في هذا السياق القرآني اختلاف المؤدى الدلالي للفعل «مر» باختلاف حرف الجر المرافق؛ فلاحظ في الآية الأولى عند ما أريد بالمعنى المرور الجانبي الذي قد يقتضى الالتصاق وصل الفعل إلى مفعوله بحرف الإلصاق و هو «الباء» علما بأن الفعل «مر» يتعدى (_____)

الزائدة (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩ م)، ص ١٦. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٣ إلى مفعوله عادة بهذا الحرف. و

لكن عند ما أريد بالمرور بالمرور الفوقى الذى لا يراد به الالتصاق جىء بحرف الجر «على» ليلائم معنى الفوقية و الاستعلاء، مع العلم أن الفعل لم يطرأ عليه أى تغيير فى الاستخدامين «١». و من الخواص الأخرى للاستخدام الدلالى لحرف الجر: تشكيله وحدة تعبيرية مستقلة، و هذا ما يفصح عنه حرفى «على» و «فى» إذ يستخدم حرف «على» غالباً فى المواضع التى تدل على السمو و الرفع و الاستعلاء، لذلك نجده كثير الاستخدام مع «الهدى» ليناسب العلو مقام الهداية الذى يسمو بالفس البشرية عن الدونية، و يرقى بها إلى مدارج الخير و الفلاح. و نتأمل قوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (البقرة: ٥) و قوله سبحانه: **وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ** (الحج: ٦٧) **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (سبأ: ٢٤) **أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) (العلق: ١١، ١٢).**

(١) المرجع السابق، ص ١٦. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٤ أما حرف «فى» فهو يتضمن معنى الانخفاض و الدونية؛ و لذلك نجده كثير الاستخدام فى هذا المعنى: **لَكِنَّ الظَّالِمُونَ أَيُّومَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (مريم: ٣٨) **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ سَعِيرٍ** (القمر: ٤٧) **وَ مَا كَيْدُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** (غافر: ٢٥). و ينوه العلامة ابن قيم الجوزية عن هذه القيمة التعبيرية، و التناسق الدقيق بين معنى الحرف و سياق استخدامه: «قيل فى أداة «على» سر لطيف، و هو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى. و هو حق ... فكان فى الإتيان بأداة «على» ما يدل على علوه و ثبوته و استقامته، و هو بخلاف الضلال و الريب فإنه يؤتى فيه بأداة «فى» فى الدلالة على انغماس صاحبه و انقماعه و تدسسه فيه» «١». و من المزايا الأخرى لحرف الجر فى الاستخدام القرآني ما ينهض ببيان حيثيات قضية قد يبدو فيها التداخل المعنوى نظراً للتكرار اللفظى. كقوله تعالى: **وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ أَصْفَاكِ عَلَى نَسْتِ الْعَالَمِينَ** (آل عمران: ٤٢).

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج

السالكين، ١/٦. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٥ تطرح هذه الآية الكريمة صورتين من الاصطفاء لمريم البتول: فما ماهية الاصطفاء الأول و الثانى، و ما وجه الاختلاف بينهما؟! و تبدو الإجابة من ثنايا الآية نفسها، و من خلال حرف الجر «على» الذى ينهض بمفرده ببيان هذه الاصطفائية، و ذلك من خلال أن الاصطفاء الأول لم يرد فيه ذكر «على» و هذا دليل على أنه ليس اصطفاء طرف على آخر! بمعنى أنه اصطفاء عام، يشمل النساء و الرجال فى خصوصية هذا الاصطفاء الذى يعنى: الاجتباء و الاختيار، و هذا الاصطفاء قد يكون فى الإيمان، و العمل الصالح، و الخلق الطيب، و السلوك القويم. أما الاصطفاء الثانى فقد جاء اصطفاء خاصاً لورود حرف «على» الذى نوه عن اصطفائها على نساء العالمين، و بذلك أخرج عنصر الرجال من هذا الاصطفاء، ثم قصره من عنصر النساء على مريم العذراء لكونها الأنثى الوحيدة بالعالم التى كان إنجابها خرقاً لسنن الإنجاب! فقد خضع هذا الإنجاب لإرادة مكوّن لا لعنصرية التكوين!! الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٦

ب- خصائص صرفية:

إشارة

ب- خصائص صرفية: و للاستخدام الحرفى فى النص القرآني خواص صرفية، نهض بتكثيف أثر النظم القرآني فى استجلاء آفاق الكتاب الكريم، من ذلك ما نجده على صعيد:

١- التصعيد المعنوى للاستخدام الحرفى:

١- التصعيد المعنوى للاستخدام الحرفى: رسم الاستخدام الحرفى فى النص القرآني صورة ذهنية مكثفة ألقى بظلاله على الفكر و

الشعور، و شكل أثرا قويا في تحقيق مقاصد القرآن الكريم كطاقه فاعله في اتباع الأوامر، و اجتناب النواهي! و لنهف السمع لهذا الاستخدام: «وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (إبراهيم: ٧)». في هذا الخطاب القرآني يستوفنا فعل «تأذن» بدخول التاء على الفعل «أذن» إذ إن دخولها قد صعد مؤدى الفعل ليصبح فحواه: «أخبر ربكم خبرا مؤكدا أو أقسم» (١) فدخل التاء نهض بوظيفه دلاليه مكثفه ليس فقط لكونها أكدت مضمون الفعل «أذن» إنما أيضا لكونها سارت به

(١) محمد حسن الحمصي، مفردات القرآن: تفسير و بيان، (دمشق، دار الرشيد، د. ت.)، ص ٢٥٦. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٧ خطوات أخرى لترسمه في الذهن و الشعور بصورة يقينية، لنهوضها بمعنى القسم؛ لكون القسم عند البشر يقتضى الوجوب و الإنفاذ عند الاستحقاق، فكيف إذا كان هذا القسم قد صدر عن خالق البشر، و مسبب الأسباب؟! و هنا يهزنا دور التاء الوظيفي في تأكيد حيثية القسم، ثم رسم ما يترتب عليه من خلال تلك المقابلة الصارخة التي رسمتها الآية بين ما يؤول إليه حال الشاكين، و شدة عذاب الجاحدين، بحيث يصعد القسم صورة هذا النعيم، و ذاك العذاب بصور شتى تذهب النفس فيها كل مذهب. أيضا من الدور الوظيفي للاستخدام الحرفي ما يؤديه من خصوصية دلالية تجلّي مقاصد القرآن في حماية المجتمع من الشرور و الآثام.

٢- التضعيف الحرفي:

٢- التضعيف الحرفي: من المعلوم أن التضعيف الحرفي له دوره الرئيس في تشكيل بنية الكلمة، فضلا عن زيادة معنى الفعل. غير أن هذا الدور الوظيفي للتضعيف الحرفي على صعيد التعبير القرآني يذهب بعيدا في مؤداه الدلالي؛ و ذلك من ملاحظة أن الحرف المشدد يتردد أحيانا في الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٧٨ الألفاظ التي تحمل صورا شتى من ألوان العنف و القوة، و الإجماع بما تقتضيه مقاصد التنزيل، و من ثم نجد أن هذا التضعيف يتردد في سياق: الذبح، القتل، الصلب، الحرق، إلخ ... من ذلك ما جاء في قوله تعالى على لسان فرعون بعد إيمان السحرة: «لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (الأعراف: ١٢٤)» فهذا التضعيف قد عمق مؤدى الفعل في الذهن و الشعور ليصبح الفعل القبيح أكثر قبحا، و أشد إيلا، بيد أن هذه الصورة القبيحة و المؤلمة تتصعد إلى ذروتها عند ما يكون هذا التقتيل و التذبيح للأبناء ثمرات الأكباد و إذ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ (الأعراف: ١٤١) و إذِ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ (البقرة: ٤٩) سَنَقُتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (الأعراف: ١٢٧). و لما كانت ماهية التضعيف الحرفي وفق السياق زيادة فاعلية الحدث، و تصعيد صورته في النفس قبحا و إيلا فقد كان جزءا من يسعى في الأرض فسادا، و يحارب شريعته الله و رسوله عنادا و تكبرا، ليكون هذا العقاب جزءا للمذنبين، و عظة للمعتبرين: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا الْإِعْجَازُ الْقُرْآنِيُّ وَ أَثَرُهُ عَلَى مَقَاصِدِ التَّنْزِيلِ، ص: ٧٩ أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ (المائدة: ٣٣)، كذلك كان جزءا المنافقين و المرجفين الذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة: مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقَّفُوا أَخَذُوا وَ قَتَلُوا تَقْتِيلًا (الأحزاب: ٦١). و الى جانب ذلك نجد هذا التضعيف الحرفي يتردد في سياق آخر من مواضع تصعيد الأفعال القبيحة المستنكرة، و هي تكذيب دعوة الرسل: فقد أنكر سبحانه على بني إسرائيل فعلهم القبيح: أَفُكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (البقرة: ٨٧). ثم تتوالى صور التضعيف الحرفي للأحداث المفزعة، بيد أن هذه الصورة أشدها فزعا: وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (التكوير: ١٢). فنار جهنم يزداد حرها و هي تستقبل روادها، حتى يصل إلى درجة اللهب و الهيجان، جاء في مختار الصحاح: سَعَّرَ النَّارَ وَ الْحَرْبَ: «هيجها و ألهبها» و ليس هذا فحسب، بل تزداد الصورة هولا و فزعا عند ما ترد هذه الصورة بصيغة الفعل المبني للمجهول «سعرت» حتى يأخذ الفرع بالنفس كل مأخذ، لأن صورة الفعل تقدر بقدر فعل الفاعل و جبروته! الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٠ ثم تطالعنا صورة أخرى من صور التضعيف الحرفي تقابل

الصورة الأولى، لتفتح أمامنا آفاقا مشرقة من خلال وظيفتها التكريئية، و لزهف السمع لهذا الخطاب الإلهي: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا (طه: ٨٢) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (ص: ٦٦) وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (غافر: ٤٢). في هذه الآيات الكريمة ترتقى مهمة التضعيف إلى أجواء علوية، لأنها صادرة عن رب القدرة و المغفرة، لتشيع الأمل و الرجاء في النفوس، ليس فقط من خلال شيوع المغفرة بل بكثرتها و دوامها، و من ثم تؤدي هذه الخصوصية حماية المجتمعات من الشرور و الآثام؛ لأن الشرير إذا علم أن الله لن يغفر له تمادى في شره، و وسع دائرة شروره و جرائمه في آفاق مجتمعه.

ج- خصائص بلاغية:

إشارة

ج- خصائص بلاغية: و مع مواكبه أثر النظم القرآني على الصعيد الحرفي نتلمس أثر هذا النظم أيضا من خلال السمات البلاغية التي حققت قدرة أدائية عالية، من ذلك ما نجده في: الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨١

١- التوظيف المجازي لحرف النداء:

١- التوظيف المجازي لحرف النداء: حقق حرف النداء في السياق القرآني وظيفته معرفية عمق في النفس الإنسانية قضية عقدية تجلت في خشية الله، و سرعة الأوبة إليه، من ذلك ما نلاحظه في حرف النداء «يا» الذي من خواصه أن ينادى به القريب و البعيد معا «١». إلى جانب أن المنادى به غالبا ما يكون شخصا مقربا، أو مكانا محببا، بيد أن الشيء المستغرب أن ينادى الإنسان به: الويل و الحسرة: قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (الأنبياء: ١٤) وَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (الصفات: ٢٠) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْبَ تِي عَلِي مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَ إِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ (الزمر: ٥٦) حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْبَ تَنَا عَلِي مَا فَرَّطْنَا فِيهَا (الأنعام: ٣١). و لدى إنعام النظر في هذه الآيات يتبادر سؤال: لما ذا يستدعى الإنسان الويل أو الحسرة في هذا الموقف العصيب؟ و هل هي قادرة على العون و الإنقاذ؟! و الإجابة يجسدها هول الموقف نفسه على سبيل الحقيقة لا المجاز! لأن المنادى لا يجد بجواره سواها بعد أن تخلى عنه الأهل و الأعوان!! فليجأ إلى تشخيصها، و بثها همومه و أحزانه عليها تخفف عنه لوعته؟! (جمال الدين بن هشام الأنصاري،

مغنى اللبيب، تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط ٢، (دار الفكر، د. ت.)، ١/ ٤١٣. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٢ و هنا تتجلى روعة الأداء القرآني في تحقيق أهداف التنزيل الحكيم من خلال تمثل النفوس مرارة هذا الموقف العصيب، فترتدع و تثوب، و تعقد صلحا مع الله قبل فوات الأوان!

٢- البعد الدلالي للتقديم الحرفي:

٢- البعد الدلالي للتقديم الحرفي: أفصح هذا الاستخدام عن سبر أغوار النفس الإنسانية في خيرها و شرها، و هذا ما تراءى في قوله سبحانه: لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ (البقرة: ٢٨٦). هذه الآية تبدي منها ملمحان دلاليان، الأول: بتقديم الجار و المجرور على الفعل! و هذا التقديم حمل خصوصية معنوية لا- تتحقق فيما لو جاء التعبير على النسق اللغوي المألوف، بتقديم الفعل على الجار و المجرور (ما كسبت لها، و ما اكتسبت عليها) و من ثم كان تقديم ما حقه التأخير يحمل صفة القصر، أو الحصر بالمقصود عليه، يختص به و لا- يتعداه لسواه، و من ثم حقق هذا التقديم مؤداه الدلالي بتعزيز القاعدة الإيمائية و لا- تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (الأنعام: ١٦٤). أما الملمح الآخر فنجد في دقة استخدام «لها» مع الكسب، و «عليها» مع الاكتساب؛ لأن الكسب- عادة- الإعجاز القرآني و أثره

على مقاصد التنزيل، ص: ٨٣ يستخدم مع الخير، و عليه ستجنى النفس وحدها الثمار الخيرة التي غرستها يداها، أما الاكتساب فيستخدم مع الشر، بمعنى أن عليها وحدها يقع وزر ما اقترفته من آثام. وهذا التقابل المعنوي بين الكسب و الاكتساب له مغزاه الدلالي، من خلال صيغة الاشتقاق اللغوي، على الرغم من أن المادة الاشتقاقية لكل منهما واحدة، غير أن فعل «كسب» لا يتطلب أداءه الجهد و المكابدة. و عند ما يتقيد استعمال هذا الفعل في مجال الخير؛ فمعنى ذلك أن الأفعال الخيرة وليدة الفطرة البشرية السوية التي فطرت على الخيرية، و من ثم جاء الدين الإسلامي يعزز هذا الجانب و يرعاه، حاثا على الخير بكل سبله، ناهيا عن الشر بكل صورته و منعطفاته، و من هنا كان الكسب سبيلا إلى الخير. أما فعل «اكتسب»، فأدأؤه يتطلب الجهد و المكابدة، و هذا المؤدى الدلالي يجسده زيادة الألف و التاء في الفعل طبقا لما يقوله النحويون: كل زيادة في المبنى دلالة على زيادة في المعنى؛ و هذه الزيادة في المعنى حملت في ثناياها طاقة جهد عضلي و نفسى لافتعال شيء لا يتأتى تلقائيا وفق الفطرة الطبيعية، و من ثم كان استخدام «الاكتساب» منطلقا الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٤ للأفعال السيئة التي تقتضى مغالبة الفطرة لأداء هذه الأفعال! كمن يود أن يفعل شيئا مريبا، فهو يكابد صوراً شتى من المعاناة الحسية و النفسية. و هكذا باطلاعنا على نماذج الاستخدام الحرفي نكون قد تمثلنا أثر النظم القرآني بعمومه و خصوصه على بيان مقاصد التشريع في كتاب العربية الأكبر، و معجزتها البيانية الخالدة. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٥

الخاتمة

الخاتمة لقد كان من البدهى أن تتجه العقول إلى المعجزة القولية الكبرى التي أفحمت الفصحاء و البلغاء عن محاسنها و الإتيان بآية واحدة منها، مما دعا أن تسود المجتمع الإسلامي حركة من التفكير تدعو للنظر في أسلوب القرآن الكريم، و معانيه، و الوقوف على مواطن الإعجاز فيه. و هذه الدراسة تنضوي في ثنايا هذه المنظومة المعرفية التي عرضت لهذا النظم، و كانت محصلتها أن النظم القرآني هو القول المعجز الذي اتضحت آثاره في القرآن كله، محققا الحكم التشريعي، و التألف اللفظي، و التناسق المعنوي، و التشكيل الصوتي الإيقاعي، مما جعل هذا القرآن ذا نسيج خاص، كل كلمة لها وظيفتها الدلالية و الإيقاعية، «بحيث لو استبدلنا بها كلمة أخرى فسد المعنى، و فقدت العبارة سر إيحائها، و ذلك ما يحسم الخلاف في قضية اللفظ و المعنى» (١). و على هذا فقد حقق النظم القرآني صورة تعبيرية فريدة لم يعهد لها نظير في العربية؛ و قد وفق الرافعي في التنويه عن سر

(١) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط ٣، (القاهرة: دار المعارف، ١١٦٨ م)، ص ٨. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٦ التعبير القرآني و جلال إعجازه: «نزل هذا القرآن بهذه اللغة على نمط يعجز قليلا و كثيره ... و هو في كل جزء من أجزائه، و في أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، و بدلت الأرض غير الأرض، و إنما كان ذلك لأنه صفي اللغة من أكارها، و أجزائها في ظاهرها على بواطن أسرارها ... و لهذا بهتوا حتى لم يتبينوا أ كانوا يسمعون بها صوت الحاضر، أم صوت المستقبل، أم صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها، و لكن في جزالة لم يمتنع لها شيخ و لا قيصوم، و رقة غير ما انتهى إليهم من أمر الحاضرة» (١). و إلى جانب اطلاعنا على هذا النظم القرآني المعجز فإن الدراسة قد طرحت لونا آخر من وجوه الإعجاز تجلي في أن كل جزئية من جزئيات التعبير القرآني حتى على صعيد الاستخدام الحرفي كانت لها خصوصية دلالية جلت آفاق الكتاب الكريم و عمقت مقاصده؛ إذ أفصحت في مجملها عن مفاهيم عقدية رسخت العقيدة، و صححت مسارها، و قضايا اجتماعية نظمت حياة الفرد و المجتمع، و ظواهر لغوية أبانت عن بلاغة التعبير في لغة التنزيل الحكيم.

(١) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ط ٨، (بيروت: دار الفكر العربي، د. ت.)، ص ٧٤. الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٧ و هذا

الجانِب من الإعجاز التشريعي - إن صح هذا التعبير - قد تجلّى من خلال النماذج العديدة التي طرحتها الدراسة، و تألّف فيها الإعجاز اللغوي مع التشريعي في وحدة واحدة من التعبير لبيان أثر القانون الإلهي في حياتنا المعاصرة، بوضع ضوابطها و تنظيمها لتتم مهمة الاستخلاف، و إعمار الحياة بمنهج الله. و من منطلق هذه الثوابت سيبقى القرآن المعجزة اللغوية الخالدة، الماثلة في نظمه و تشريعه، و قد هيا الله لهذا النظم الحفظ، ليبقى الإعجاز محفوفاً بالحفظ، ليكون هداية السماء للأرض، ينير للبشرية مسالك الحياة الفاضلة، لتتنظم حركة الحياة بقانون السماء. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا و تقبل دعاءنا، و الحمد لله رب العالمين د. رجاء محمد عودة أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها كلية الآداب جامعة الملك سعود الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٨٩

المعاجم و دوائر المعارف

المعاجم و دوائر المعارف ١- القرآن الكريم. ٢- «مغنى اللبيب»، الأنصاري، جمال الدين بن هشام (ت ٧٤١هـ-)، تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط ٢، (دار الفكر، د. ت.). ٣- «صحيح البخاري»، البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦هـ). ٤- «أنوار التنزيل و أسرار التأويل»، البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت ٦٧٥هـ)، (بيروت: دار الجيل، د. ت.). ٥- «فقه اللغة و أسرار العربية»، الثعالبي، عبد الملك أبو منصور (٣٥٠-٤٢٩هـ)، تحقيق سليمان البواب، (دمشق: دار الحكمة، ١٩٨٤ م.). ٦- «دلائل الإعجاز»، الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، تحقيق محمود شاكر (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤ م.). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٩٠ ٧- «زاد المسير في علم التفسير»، ابن الجوزي، عبد الرحمن (٨٠٥-٥٩٦هـ)، (الكتب الإسلامي). ٨- «مدارج السالكين»، الجوزية، ابن قيم (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي (مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٩ م.). ٩- «مفردات القرآن: تفسير و بيان» الحمصي، محمد حسن، (دمشق: دار الرشيد، د. ت.). ١٠- «بيان إعجاز القرآن» الخطابي، حمد أبو سليمان (٣١٩-٣٨٨هـ)، تحقيق، محمد خلف الله، و زغلول سلام، ط ٣، «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦ م.). ١١- «إعجاز القرآن و البلاغة النبوية»، الرافي، مصطفى صادق، ط ٨، (بيروت: دار الفكر العربي، د. ت.). ١٢- «النكت في إعجاز القرآن»، الرماني، علي بن عيسى (٢٩٦-٣٨٦هـ)، تحقيق محمد خلف الله، و محمد زغلول سلام، ط ٣ «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦ م.). ١٣- «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ)، ط ٣، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥١ م.). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٩١ ١٤- «صفوة التفاسير»، الصابوني، محمد علي، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١ م.). ١٥- «حاشية الصاوي على تفسير الجلالين»، الصاوي، أحمد بن محمد (١١٧٥-١٢٤١هـ)، (دار الفكر، ١٩٧٧ م.). ١٦- «تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي»، ضيف، شوقي، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣). ١٧- «جامع البيان في تفسير القرآن»، الطبري، محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠)، (بيروت: دار الجليل، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٧ م.). ١٨- «الإعجاز البياني للقرآن»، عبد الرحمن، عائشة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١). ١٩- «التفسير البياني للقرآن الكريم»، ط ٣، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨ م.). ٢٠- «قاموس القرآن الكريم (لغة القرآن)»، عمر، أحمد مختار، (الكويت: مؤسسة التقدم العلمي، ١٩٩٣ م.). ٢١- «مقاييس اللغة»، ابن فارس، أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٦هـ). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٩٢ ٢٢- «محاسن التأويل»، القاسمي، محمد جمال الدين (١٢٨٣-١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨ م.). ٢٣- «التصوير الفني في القرآن»، قطب، سيد، (بيروت: القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٢ م.). ٢٤- «مختصر تفسير ابن كثير»، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٠١-٧٧٤هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٩٣ م.). ٢٥- «التسهيل لعلوم التنزيل»، الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي (٦٩٣-٧٤١هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم يونس، إبراهيم عوض (القاهرة: دار الكتب الحديثية، د. ت.). ٢٦- «حروف الجر الزائدة»، اللقاني، رشيدة عبد الحميد، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠ م.). ٢٧- «دراسة أدبية لنصوص من القرآن»، المبارك، محمد، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣ م.). ٢٨- «الظاهر القرآنية»، ابن نبي، مالك، ترجمة

عبد الصبور شاهين، ط ٤، (دمشق: دار الفكر ١٩٨٧ م). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٩٣ ٢٩- «البحر المحيط»، النحوى، محمد بن يوسف أبو حيان (٦٤٥-٧٤٥ هـ)، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، د. ت.). ٣٠- لسان العرب، محمد جمال الدين ابن منظور (٦٣٠-٧١١ هـ)، (دمشق: مكتبة النورى، د. ت.). ٣١- مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازى (ت ٦٦٦ هـ) (دمشق: دار الحكمة، ١٩٨٣ م). ٣٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (كتاب الشعب، دار و مطابع الشعب، د. ت.). ٣٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إشراف عبد السلام هارون، (مطبعة مصر، ١٩٦١ م). ٣٤- دائرة المعارف الإسلامية، لجنة مؤلفين. (القاهرة: شركة سفير، د. ت.). الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٩٥

المحتوى

المحتوى الموضوع / الصفحة تمهيد ١١ الإعجاز فى السياق القرآني ١٧ خصائص لغوية ١٨ خصائص صرفية ٢٩ خصائص بلاغية ٣١ الإعجاز فى الآية الواحدة ٣٥ خصائص لغوية ٣٥ خصائص صرفية ٣٧ خصائص بلاغية ٤١ الإعجاز فى المفردة القرآنية ٥٥ خصائص لغوية ٥٥ خصائص صرفية ٥٩ خصائص بلاغية ٦٢ الإعجاز القرآني و أثره على مقاصد التنزيل، ص: ٩٦ الإعجاز فى الاستخدام الحرفى ٦٧ خصائص لغوية ٦٧ خصائص صرفية ٧٦ خصائص بلاغية ٨٠ الخاتمة ٨٥ ثبت المصادر و المراجع ٨٩ فهرس المحتويات ٩٥

تعريف المركز القومية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١). قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَارِ - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مؤسس مُجْتَمَعِ "القائمة" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايى المتبدلة أو الرديئة - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت - عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و... - منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز: الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهرية، مع إقامة مسابقات القراءه ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة... الأماكن الدينيه، السياحيه و... د) إبداع الموقع

الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مَواقِعَ أخرَه) إنتاج المُنتجات العرضية، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمرية و) الإِطلاق و الدَّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤ (ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" و مُفترق "وفائى" / بنائه "القائمة" تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويئة الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظة هامة: الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا تُوافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعة الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكل احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

